لواء السماوة ولواء العرجاء

— ٢ —

بقلم : يعقوب سركيس

بل كانت هـذه الحولة قد استولت على البصرة مراراً فقد ذكر استيلاء مانع عليها تاريخ بغـداد بالتركية المسمى كلشن خلفا وغيره ثم استولى عليها ابنـه مغامس واخيراً استولى عليها ثويني العبـد الله المحمد « وراجع عن هـذين الاستيلائين الاخيرين لغة العرب ٧ [٢٩ / ١٩٣٠] ٧٩ و ٥ [٢٧ / ١٩٢٦] ٥١٠ { ١ } في مقالين لي . وهناك في احد المقالين مدح وثناء عاطر بنوع خاص على ثويني نقـلا عن رحلة لاحد البريطانيين الذي قدم الى البصرة بعـد الواقعة ببضعة اشهر وهي غفل من اسم صاحبها . ولا بد من ان ذلك بلغه ممن هو هنالك ولا سيما من الاجانب .

ويظهر ان آل شبيب بعد ان كانوا قـد انقطعوا عن التصرف في السماوة عاد حفدتهم آل سعدون الى ذلك فقد جاء لسليمان فائق بك ابن الكاهيـة طالب من ابناء القرن الماضي « في تأريخه لبغداد بالتركية وهو لا يزال مخطوطا وسليمان فائق بك هو والد نخامة حكمت بك » ان افراز السماوة من دير المنتفق كان في زمن رشيد باشا الكوزلكلي [ذي المناظر] والي بغداد [ولايته من سنة ١٢٦٨ الى سنة ١٢٧٣ - ١٨٥١ — ١٨٥٦] واظن ان هذا الافراز كان في زمن مشيخة منصور « باشا » الراشد الثامر « ٢ » .

★★★

ان ما اطلعت عليه من نسخ التذاكر الديوانية هو ما يعود الى ايالة بغداد وبما ان الاراضي الواقعة تحت العرجاء كانت تعود الى البصرة فليس لنا ان نجد بين ما اطلعت عليـه من الوثائق ما يعود الى هذه الاراضي وهي الام من دير المنتفق بحصر المعنى وكان الذي يتصرف في هذه الام الشيخ محمد المانع بوصفه شيخ المنتفق يوم كان يتصرف في لواء السماوة ناصر الصقر ومنيخر وفي لواء العرجاء صـالح آل صالح [كذلك من آل شبيب] كما ان محمـدا نفسه كان ضامناً للواء العرجاء في بعض السنين كما مر بنـا ويظهر ان لناصر الصقر كانت منزلة تمكنه من معارضـة شيخ المنتفق فكان يرضى بتضمينه السماوة وقـد غدا وقتا شيخاً للمنتفق كما سنرى ويظهر ان صالح آل صالح كذلك كانت له منزلة جعلته ان يكون ضامناً للواء العرجاء في بعض السنين كذلك بغية ارضائه ويبين ايضاً انه لم يبق اخيراً من يعارض شيخ المنتفق من اسرته في ضمان لواء العرجاء فكان ضامنـاً له تارة الشيخ ثامر السعدون وتارة عمه الشيخ عبدالله المحمد شيخي المنتفق وذلك ابتداء من سنة ١١٨٤ فصاعدا وربما كان قبل ذلك فان يدي خالية من نسخ تذاكر الديوان وجداولها لسنة ١١٦٠ حتى سنة ١١٨٤ المذكورة كما سبق القول ولا اعتقد ان العرجاء تصرف فيها احد من آل شبيب غير شيخ المنتفق بعد زمان الشيخ ثامر بل كان المتصرفون فيها آل سعدون واعتقد ان الامر كان كذلك بشأن السماوة حتى زمن افرازها من لواء المنتفق .

★★★

ذهبت في سطوري هذه ان لضالح آل صالح كان يرضى بلواء العرجاء لما له من منزلة وذلك استخراجا وقد ظفرت بما يلي في كتاب « صفة جزيرة العرب » لنهبر في كلامه على المنتفق في سنة ١٧٦٥ [١١٧٩] [الص ٣٥ / ٣٣٤] فانه قال ماتعريبه عن الترجمة الفرنسية : « هذا مـع ان لغيره « لغير شيخ المشايخ عبد الله » سلطة في بعض المواضع فانهم يستوفون ايراد القرى او رسوم الكمارك التي يؤديها لهم التجار في بعض المواضع وذلك بمرورهم بها في سفرهم من البصرة الى بغداد وبالعكس » اه .

واوضح من ذلك ماجاء في رحلتـه « ٢ : ٣٠٢ » في تلك السنـة فانه قال : « والكمرك في العرجاء يعود الى آل صالح وهم من الاسر الرئيسية لعشيرة المنتفق » وهو يريد

« ١ » اعدت نشر هـذين المقالين في مجموعتي مباحث عراقية « ٢ » راجع مقالا لي في مجلة غرفـة تجارة بغـداد [٥ [١٩٤٣] ٦٠١] .

اسرة شيخ المنتفق . وفي رحلة اوتو الفرنسي في اخبار سنة ١٧٤٣ « ١٥٦ » بعد كلامه على تقليد احمد باشا للشيخ عبد الله مشيخة المنتفق يروى لنا مروره بالسماوة في تلك السنة « ٢ : ٢ . ٢ » ان الباشا كان قلدهما الشيخ منيخراً فكان يستوفي رسومها .

ان مامر بنا من القول يدلنا بصراحة على ان دیرة المنتفق بما فيها السماوة كانت تقسم الى ثلاثة اقسام وان اكبرها — وهو الام — كان معدوداً من ايالة البصرة والاثنين من ايالة بغداد وكانت الام تحدها العرجاء من جهة الشمال . وليس قولي هذا جزافا مرميا على عواهنه فانه يؤيد بكلام اوتو في رحلته « ٣ : ٩٨ / ٩٧ » وذلك في سفره من البصرة الى بغداد في سنة ١٧٤٣ فانه قال : « وفي كوت المعمر تنتهي حدود البصرة » وقال : « والعرجاء من ملحقات حكومة بغداد » والسنة التي مر فيها بهذه الديار هي من السنين التي لم اجد نسخاً لتذاكرها الديوانية . ولا جداول لها وفي كاشن خلفاً في اخبار سنة ١١١٩ [٧٠٨ / ١٧٠٧] ان قلعة العرجاء في منتهى حدود بغداد وفي تاريخ السلحدار فند قلي محمد اغا « المتوفى في سنة ١١٣٦ = ٢٤ / ١٧٢٣ » المطبوع في استانبول في سنة ١٩٢٨ « ١ : ٤٧٥ » أن في الارجة « العرجاء » ينتهي حد بغداد ذكر هذا في اخبار سنة ١٠٧٨ [٦٨ / ١٦٦٧] وكذلك مما يؤيد كلامي على ان دیرة المنتفق كانت تقسم الى ثلاثة اقسام رواية اوتو بمروره بهذه الديار فانه قال ايضاً [٢ : ١٩٢] ان شيخ هذه العشائر هو الشيخ عبد الله ثم قال في مروره بالسماوة [٢ : ٢ . ٢] ان المتصرف فيها هو الشيخ منيخر وقد ولاه اياها احمد باشا والي بغداد . وفي كتيبي بالتركية المخطوط ان كوت المعمر هو الحد بين ايالة بغداد والبصرة وانه فوق ام العباس . فيستنتج من ذلك ان الحد كان بين كوت المعمر والعرجاء ولم يعين موضعه على وجه صريح في ماوقع بيدي من الكتب والوثائق الخطية .

***

وفي الختام يجدر بي ان ابين مطالعة هي ان بدلات اللوائين المار ذكرهما كانت ضئيلة بالنسبة الى اتساع اراضيهما فاني اقدر بدل السماوة بما يساوي نحو خمسمائة او ستمائة دينار « باعتبار الدينار ذهباً » وان كثر فلا يجاوز ثمانمائة دينار واقدر بدل العرجاء بنحو مائة وخمسين دينارا او مائة وثمانين دينارا كذلك ذهباوان كثر فلا يجاوز مائتين واربعين ديناراً [١] واعد قلة البدلين المار ذكرهما للاسباب التالية

« ١ » قلة زرع الحبوب وغرس النخل اذ لم تكن الحاجة الا الى مايستهلكه العراق مع ماكان يصدره من التمور الى بعض اقطار جزيرة العرب كنجد والبلاد القريبة كالهند وما يصدره الى نجد وربما الى الحجاز من الحبوب فحسب . ولم يكن بوسعه ان يصدر من هذه المنتوجات وغيرها كالصوف الى البلاد الاوربية فضلا عن الامريكية التي يصدر اليها الان هذا التمر والصوف وغيرهما وذلك لزيادة النفقات في النقل لسبب البعد زد على ذلك ان تلك البلاد قد لم تكن بحاجة الى منتوجاتنا لسبب من الاسباب مع سبب آخر هو زيادة النفقات من النقل اكثر من يومنا هذا لأن وسائط النقل اذ ذاك كانت سفناً شراعية اذ لم يكن قد بدئ يومئذ بالانتفاع من البخار فانشاء السفن التي تسير بواسطته فضلا عن انه كان على تلك السفن ان تمخر عباب البحر بطريق الرجاء الصالح لترسي في موانئ اوربة التي اليها والى امريكة تصدر اليوم منتوجاتنا المعدة للتصدير . وهو ذلك الطريق البعيد جداً مع كثرة اخطاره فان من المعلوم ان طريق قناة السويس مشروع حديث كان انجازه في سنة ١٨٦٩ .

[٢] قلة النقود لان مقادير الذهب والفضة حتى النحاس لم تكن كمقاديرها الحالية

[٣] كون آل شبيب وآل سعدون شديدي الشكيمة فيضطر الولاة الى موافقتهم على قبول كثير من مطالبتهم اذ لم يكن لدى الحكومة من الالات الحربية ما كان لديها بعد

[١] هذا تقديري لهذه البدلات بنتيجة تتبعات يطول بيانها في امر تعيين قيمة الغروش في ذلك الزمان وهي غير الغروش التي كان تداولها في زمن هود المار ذكره مع اعترافي بان الفرق عظيم بين تقديري وما نقلته عن هود .

ذلك . فقد كانت اسلحة كل من الفريقين متساوية في الانواع مع الاقرار بتفوق الحكومة في بعضها كالمدافع . وزعامة هذه الحملة وان كان يطلق عليها كلمة مشيخة انما كانت في الحقيقة كذارة ليس في وسع الولاة ان يخضعوها فتنقاد اليهم صاغرة خاضعه ولا شك ان الولاة كانوا مضطرين ان يكتفوا باستيفاء بدلات قليلة ضئيله من الام من ديرة المنتفق مع تقليد التصرف في العرجاء للشيخ نفسه او لاحد من اسرته بمثل تلك البدلات الضئيله . وكم قلدوا السماوه لال شبيب ثم للشيخ ثامر السعدون الذي كان اذ ذاك شيخ المنتفق كل ذلك ببدلات قليلة كما مر بنا هذا مع الاقرار ان الولاة كانوا نحوا احيانا هذا البيت عن التصرف في السماوة كما رأينا .

ومع صحة ما اوردته من الادلة على سبب ضاكة البدلات فان مسألة تعترضنا في رد بعض ما قلته وهي وقوفنا على احالة الولاة للسماوة على اغوات بالبدلات التي كان سبق تظمينها بها لال شبيب من دون زيادة مع انه ليس لهؤلاء الاغوات ما يخولهم ان يستفيدو من احد الاسباب الخطيرة الذي ذكرته وهو المنزلة الرفيعة الحاصلة عليها الحمولة الشبيبية . . وهل يقاس اغا من الاغوات لا يملك الا نفسه وبعض الاتباع ـ على فرض ان له اتباعا عديدين مع مساعدة الحكومة له ـ باحد ال شبيب وان لم يكن هذا الشبيبي شيخا متربعا على مسند «١» المشيخة ؟ هذا فضلا عن بعد قياسه بشيخ المنتفق الذي يتولى زعامة عشائر رجالها عشرات من الالوف وربما اكثر .

ان الذي يتبادر الى البال ان الولاة كانو يريدون نفع الاغوات فكانوا يغضون الطرف عن الزامهم بدفع اكثر مما كانوا يستوفونه من آل شبيب . وقد يكون سبب آخر او عدة اسباب تدعو الى ابقاء البدلات على ما هي من دون ان يصيبها تغيير من زيادة ونقصان خلال نحو قرن وربما اكثر من هذا الزمن الطويل . ولعل الايام تكشف عن ذلك . أما سبب تبديل الشبيبي الضامن احيانا بغيره من الاغوات فقد يكون لضعف طاريء عليه فينتهز الوالي الفرصة فيضمن اغا من اغواته لسنة ثم يضمن غيره . وقد جاء في اوتو « ٢ : ٢١٥ » في كلام له على احمد باشا والي بغداد هوان الشرقيين من عوائدهم تقليد خدامهم « رجالهم » بالمناوبة للوظائف الرابحة .

التعليق

«آ» الرجال

واذ قد ورد اسم الشيخ عجيل وبعض آل شبيب وابنائهم آل سعدون رأيت ان اقول في الذين ذكروا كلمة موجزة استخرجتها من تلك الكتب والمدونات التي اشرت اليها في صدر المقال ومما سمعته من ثقات الرواة وان تخللت ذلك امور معروفه كان سياق البحث يضطرني الى ذكرها . وابدأ بالشيخ عجيل لانه اول من ذكر في مقالي هذا .

١ — الشيخ عجيل

هو ابن محمد بن ثامر بن سعدون وكانت وفاته في سنة ١٢٤٧ « ١٨٣١ » وقبره في صبيخ « اي صبيخ بالتصغير » وهو تل قليل الارتفاع في الشمال الغربي من الشطرة على بعد نحو اربعة كيلو مترات منها ومما جاء بشأن هذا الشيخ ماورد في نسخة مكتوب موقع بتوقيع عبد المحسن والذي يفهم منه انه لاحد علماء بغداد في ذلك العصر وانه كتبه الى واليها داود باشا بعد القبض عليه باشهر لا اكثر فانه مؤرخ في رمضان ١٢٤٧ « شباط ١٨٣٢ » وهو من آل السهروردي على ما تحقق عندي والنبذة التي فيه بشان عجيل هي هذه بنصها :ـ

ثم الكد خدا « هنا يراد به معاون الوالي ومستشاره وكان الوالي علي رضا باشا خلف داود باشا » الحلبي بكر اغا توجه الى طرف الحلة هو وصفوق « شيخ شمر » وسليمان غنام زاده « شيخ عقيل تصغير عقل وهم صنف من جنود ذلك الوقت من اهل نجد » وسائر العسكر المجندة ذهبوا

«١» وزان مصحف كان وصفه لي احد آل سعدون انه تخت مفروش يعلو الارض نحو شبر طوله متر او متر ونصف متر وعرضه نحو متر عرضا محاط بها يتكأ عليه . وهو خاص بجلوس الشيخ عليه ولا يجوز لغيره ان يجلس على مثل هذا المقعد . والمسند مجازا المشيخة .

تلقاء عجيل شيخ المنتفق ومعهم ماجد « هو ابن حمود الثامر وحمود هو عم عجيل » شيخ الوقت فحاولوه فكروا عليه عليه وكر عليهم . وبعد ان كانت الغلبة للشيخ « عجيل » المذكور كبت فرسه فسقط على الارض فانكسرت رقبته فمات على البعد من العسكر لايضرب احد ولاقتله فسلم المنتفق لماجدوصار شيخهم فراشد عمه «عم عجيل » ومنصور « كذلك عمه » وبقية اكابر المنتفق بمعيته وذهبوا الى ديرتهم « ١ » انتهى وكانت نخوة هذا الشيخ اخو سعدي - على ما كان بلغني - كاخواله امراء ربيعة مفتخرا بكونه ابن اخت لهم فضلا عن سعدونيته . وكان حدثني ثقات من المعمرين ان الامير خال عجيل كان اهدى اليه ارضا حين ولادته باسم « ترجية » [قزط] فغدت تسمى هذه الارض « هوير عجيل » ولا تزال معروفة بهذا الاسم كما انه يقال لها [الهوير] فحسب للاختصار وموقع هذه الارض في قضاء الرفاعي فى الجانب الغربي من الفرات .

وقدخالف سليمان فائق بك في تأريخه بعض هذه الرواية فانه ذكر كبو فرس الشيخ عجيل وسقوطه عنها لكنه قال : « فقتل خلافا للشيمة العربية » وذكر اسم القاتل وهو ليس من المنتفق وفي عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر[٢] { ٢ : ٤٠ } مايلي : —

{ ولما استقر علي باشا } علي رضا باشا { في بغداد ارخص لعيال } يريد اولاد { حمود بن ثامر واذن لهم ان يرجعوا الى اهلهم وامر بعزل عقيل بن محمد بن ثامر عن ولاية المنتفق وتكون الولاية لهم فلما وصلوا الى عربانهم اجتمع اليهم جموع كثيرة من الظفير والمنتفق وشمر وغيرهم وجمع عقيل جميع عربانه فالتقى الفريقان في الجزيرة قرب السوق { يريد سوق الشيوخ والصحيح فى الغراف كما نعرفه من الرواة ومن دفنه فى سبيخ { ٣ } وهذا التل يبعد عن سوق الشيوخ مسير نيف ويومين للقافلة } وحصل طرادخيل وقتال قتل فيه من الفريقين رجال وصارت الغلبة اولا لعقيل واتباعه ثم حصل بينهم وقفة ثانية وتبين من بعضهم خيانة عليه فانكسر عقيل وقومه فعثر به جواده فقتل واستقل بالولاية ماجد بن حمود ابن ثامر فلم يلبث حتى مات بالطاعون واراد اخوته القيام مقامه فنهض عيسى اخو عقيل لحربهم وكتب الى صاحب بغداد يطلب منه ولاية المنتفق فجاء التقرير من علي باشا فاستقل عيسى بولاية المنتفق وعزل عيال حمود { اهـ .

وجاء كذلك في عنوان المجد { ٢ : ٢٨ } في اخبار سنة ١٢٤٢ { ١٨٢٩/٣٠ } قوله : « وفيها اقام عقيل بن محمد بن ثامر فى طلب ولاية المنتفق لنفسه وحارب عمه حمود بن ثامر وعمه راشد بن ثامر حتى ظفر بهما فامسكهما وارسلهما الى باشا بغداد واستقل بولاية المنتفق ومات حمود في الحبس عند داود باشا في الطاعون سنة ست واربعين » « ٤ » اهـ .

---

[١] فى مجلة المرشد « البغدادية » ٤ [١٣٤٧/٤٨ - ١٩٢٩] ٣٩٣٩٦ » مقال عنوانه « نبذة من تاريخ حوادث ولاة بغداد » وقد قال صاحبه انه اعتمد على كتب محفوظة لديهم انما الذي يبين لي ان مالديه هو نسخة الكتاب الذي اقتطفت منه حرفياً مايمس موضوعي . وقد حول صاحب المقال قلمه فى ما رآه وشوه مافيه والدليل ان من يقابل بين التعبيرات الواردة فى مانقلته وما نقله يرى ان الاصل واحد وهناك من تشويهه انه رأى ان الشيخ عجيلا شيخا للخزاعل و « ماجد شيخ الوقت » كذلك احد شيوخ الخزاعل . وهل من حاجة الى البيان انهما من شيوخ المنتفق ؟ ان هذا امر معروف وهو اشهر من نار على علم فضلا عما جاء باعلاه ولم تكن هذه المعركة في [ارض الخزاعل] كما قال انما في ديرة المنتفق في شمال الشطرة كما ابنته في هذا المقال .

{ ٢ } وفاته فى سنة ١٢٨٨ على مافي المقدمة على كتابه .

{ ٣ } اتفق مرور سعدون باشا بهذا التل في خريف ١٩٠٣ فامر بنقر { الدمام } عنده اشعارا يذكرى الشيخ عجيل وذلك على اثر الواقعة الدموية الحادثة بينه وبين القول اغلس محمد زلام وجنوده فى البدعة { ٤ } بل كانت وفاته بقرب تل اسود وقبره هناك وهو معروف بقبر حمود وبعد { تل اسود } عن جسر الملك فيصل في بغداد بخط مستقيم اربعة عشر كيلو مترا وكان مرض موته الطاعون